

يفتح ابن سلام كتابه ببيان ما ينبغي للناقد من ثقافة، فإذا كان ما سبقه من عصور يعتمد التقد فيه على الذوق وحده فإنه في عصر ابن سلام يفتقر إلى القواعد والأصول يقول : (للشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم كسائر أصناف العلم والصناعات) ويبين أن كثرة المدارس للشعر هي التي تعين على معرفة هذه الصناعة وقواعدها ومقاييسها، وبهذه التربية الأدبية الذوقية يستطيع الناقد الأدبي أن يحكم على الأثر الفني.

ويتعرض ابن سلام في كتابه لمسألة خطيرة في الأدب العربي وهي مسألة الشك في الشعر الجاهلي وهل الأشعار المنسوبة لأناس موغلون في القدم مثل عاد وثمود وحتى آدم صحيحة؟ والكلام في الشعر الموضوع كان طبيعياً جداً في عصر ابن سلام، في عصر كادت تنتهي فيه الرواية وأقبل فيه العلماء على تدوين الشعر ليسلموه إلى الأجيال المقبلة.

ثم يتناول طبقات الشعراء فكرتها التطور النقدي في القرن الأول الهجري حين بدأ الناس يناضلون بين الشعراء ووجد جرير والفرزدق والأخطل وتعصبت لكل شاعر قبيلته ومجموعة من عشاق فنه.

ولذلك نظن أنه في توزيعه للشعراء على الطبقات أو الفصائل، لم يتكرر هذا التصنيف للشعراء وإنما تأثر فيه بأساتذة سبقوه من اللغويين أشار إليهم ولعل فصله التام بين شعراء الجاهلية والإسلام ينبه إلى فطنته إلى أن لكل زمان ظروفه وأحواله التي يرتبط بها الشعراء ولذلك لم يكن يتصور الموازنة بين شاعرين اختلفا في الزمن والعصر الذي عاشا فيه، بل وفي تقسيمه الشعراء الجاهليين إلى بادين وحاضرين هو مؤمن بأثر البيئة في الشعراء وهو في حصره الطبقات على وحدهم مؤمن بأثر الشعر الجاهلي.